المحاضرة الأولـــى: ماهية التنمية.

تمهيد:

قام الإنسـان بتجسـيد رغباته منذ القدم في تحسـين محيطه وظروف معيشـته عبر عمليات نفذها على أرض الواقع انطوت تحت مفهوم التنمية ، هذه الأخيرة لا يمكن من دونها أن يحدث تغير في النســـق الحضـاري والرقي الاجتماعي والاقتصـادي، لقد استقطبت اهتماما كبيرا من قبل الدارسـين في مختلف العلمية، لكونها ترجمة مباشـرة للجهد العقلي والبدني الذي بذله الإنسـان فـــوق هذه التخصـصـات المعمورة منذ أن بدأ بحثه عن السـيل التي من شـأنها أن تعمل على تأمين البقاء والاسـتمرار وتوفر له التأقلم معه البيئة التي وجد فيها.

1-مفهومها :

1-1 لغة:يرجع الاشتقاق اللغوي لكلمة تنمية من الفعل نـمـَّى يُنمِّي بتشديد الميم وهو يعني الزيادة بفعل فاعل كأن نقول مثلاً نمَّى النار أي أشـــبع وقودها، ثم نمَّى إنتاجه زاده ، وكَثَّره، نمَّى ذاكرته أي قوَّاها.

وهناك الفعل نما من دون شـــدة بمعنى الزيادة من تلقاء نفســـه ، يُقال نَما، نمياً ونماءً أي زاد وكثر ، والنماء يعني أ أن الشـيء يزيد حالا بعد حال من دون أن يضـاف إليه شـيء ، فمثلاً يقال لمن أشـعل النار نمها أما من زاد ماله عن طريق ميراث فيقال له نما ماله لأنه زاد من تلقاء نفســـه، لذلك أمكن القول أن كلمة التنمية ترجع إلى الفعل الأول نمى بتشـديد الميم لأن الإنســان يقف وراءها، ويســعى لتحصيلها على أرض الواقع تحقيقاً لهدف يسعى إليه.

1-2 اصـطلاحاً: يُقصـد بها مجموعة الوسـائل والطرق والإمكانات المسـتخدمة من أجل تحسـين المستوى المعيشي من مختلف النواحي الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وهي عملية استحداث تكيف مقصـــود مع الطبيعة أوهي التغير العمدي داخل المجتمع، وهي تنتج عن تخلي المجتمعات المتخلفة عن كل ما هو"تقليدي وتبنّي كل ما هو جديد من المجتمعات المتقدمة، أو هي عملية تحرر إنسـاني تشـمل تحرير الفرد من الفقر والقهر والاستغلال وتقييد الحرية، كما تشـمل تحرير المجتمع من ذُلّ الاعتماد على

الخارج وتخليصـــه من قيود التبعية. من خلال ما ورد من التعريفات الســـابقة يتضّـــح أن التنمية جهد منظم يســـتند إلى تخطيط ســـليم وأن أفراد المجتمع هم هدف التنمية ووســـيلتها، وهناك فرق بينها وبين النمو، إذ أن التنمية عبارة عن عملية شـــاملة اقتصـــادية واجتماعية وســـياســـية على نقيض النمو الذي ينحصـــر في الجانب المادي والذي يحدث في المجتمعات دون تخطيط مســـبق كالنمو الديموغرافي على ســـبيل المثال لا الحصـــر، ضـــف إلى ذلك هناك علاقة طردية بين التنمية والتغير، إذ كلما زادت وثيرتها زادت وتيرة التغيّر، فمثلاً موجة هذا الأخير التي اكتســـحت العالم بأســـره نتجت عنه التنمية الاقتصـــادية التي حوّلت المجتمع من مجتمع زراعي إلى صناعي بعد أن حلت الآلات الميكانيكية محل العامل، ما زاد في هجرة السكان من الأرياف إلى المدن ليزيد اتساعها كماً وكيفاً.

أما فيما يخص مصطلح التنمية المستدامة فقد عرف على أنها التنمية التي تأخذ بعين الاعتبار حاجات المجتمع الراهنة دون المســـاس بحقوق الأجيال القادمة في الوفاء باحتياجاتهم، لتحقيق انســـجام اجتماعي المجتمع، وهناك من عرفها على أنها التنمية التي تتصـــف بالاستقرار وتمتلك عوامل الاستمرار والتواصل، وهي بـذلـك غير باقي أنواع التنمية ، لأنها تأخـذ بعين الاعتبـار البعـد الزمني،وحق الأجيـال اللاحقـة الاســـتفادة من الموارد الطبيعية،وهو ماصـــدر عن تقرير "وقف التنمية" الصـــادر عن نادي روما عام 1972،والذي يعتبر أول من أشـــار لمفهوم التنمية المســـتدامة، وفيه تمت الإشـــارة إلى وجوب تلبية احتياجات الأفراد والمجتمعات مع الحفاظ على حق الأجيال القادمة من الموارد المتاحة، أي تلبية حق الأفراد في التنمية المســـتدامة من جهة، والحفاظ على الموارد المتاحة من جهة أخرى،و عرف إعلان "الحق في التنمية" الذي أقرته الأمم المتحدة في العام 1986 عملية التنمية المســـتدامة أنها "عملية متكاملة ذات أبعاد اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية، تهدف إلى تحقيق التحسن المتواصل لرفاهية كل الســـكان وكل الأفراد، والتي يمكن عن طريقها أعمال حقوق الإنســـان وحرياته الأســـاســـية"،كما أشـــار تقرير اللجنة العالمية للتنمية والبيئة "بْرُونْ ثْلاَنْد" إلى أن "التنمية المســـتدامة هي التنمية التي تلبي احتياجات الحاضر من دون النيل من قدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها."

وعرف "Robert Solow" التنمية المستدامة على أنها "عدم الإضرار بالطاقة الإنتاجية للأجيال المقبلة وتركها على الوضع الذي ورثتها الأجيال، فالطاقة الإنتاجية ليست فقط الموارد الاستهلاكية التي تستهلكها الأجيال الحالية، بل تتعدى ذلك إلى نوعية الطاقة الإنتاجية التي تشمل بالإضافة إلى جانبها المادي الجانب المعنوي أو المعرفي والتي تشمل على طبيعة وحجم الادخار ونوعية الاستثمار لهذه الفوائض والاستهلاك الرشيد للموارد الحالية والمستقبلية، وفي حين أن التنمية المستدامة قد تستلزم إجراءات مختلفة في كل منطقة من مناطق العالم، فان الجهود الرامية إلى بناء نمط حياة مستدام حقا تتطلب التكامل بين الإجراءات المتخذة في ثلاثة مجالات رئيسية هي:

أولا: التركيز على النمو الاقتصادي والعدالة مع ضمان عدم تخلف أي دولة أو مجتمع.

ثانيا: حفظ الموارد الطبيعية والبيئية من أجل الأجيال القادمة، من خلال إيجاد حلول قابلة للاستمرار اقتصادياً للحد من استهلاك الموارد وإيقاف التلوث وحفظ المصادر الطبيعية.

ثالثا: تحقيق العدالة الاجتماعية لأن جميع شعوب العالم بحاجة إلى العمل والغذاء والتعليم والطاقة والرعاية الصحية والماء.

2- الشروط العامة للتنمية:

يقدم مالك بن نبي شروطاً أخرى لتجسيد عملية التنمية على أرض الواقع، يمكن أن نوجزها في ثلاثة نقاط أساسية هي كالآتي:

2-1 الإنسان : باعتباره المحرك الأساسي في مسار الحضارة لامتلاكه القدرات العقلية والبدنية التي تؤهله على التفاعل مع البيئة والتكيف معها للاستفادة منها بهدف تحقيق ما يصبو إليه من طموح في هذه الحياة".

2-2 البيئة الملائمة : يقصد بها المكان الذي لا بد أن تتوفر فيه أسباب الاستقرار النفسي المتمثل في الأمن والمادي المتمثل في جودة الماء والتراب والهواء، جُل الحضارات القديمة قامت على ضفاف الأنهار بما في ذلك المدن التي بلغت أوج عظمتها من المكان الذي وجدت فيه.

2-3 الاجتماع البشري : أي الحياة ضمن الجماعة نتيجة لما تفرضه الغريزة البشرية التي أجبرت الإنسان على الاختلاط، فمثلاً غريزة حب البقاء دفعته للعيش مع الآخرين لدرء الأخطار المشتركة

كهجوم الحيوانات المفترسة وباختلاطه لابد أن يشكل تنظيم اجتماعياً يُوزع فيه بواسطته الحقوق والواجبات بين الأفراد باعتبار أن الحضارة في مجملها أسلوب معيشي يعتاد عليه الفرد من تفاصيل صغيرة إلى تفاصيل أكبر يعيشها في مجتمعه.

3- أنواع التنمية المستدامة:

لم يبق مصطلح التنمية محصورًا في عالم الاقتصاد، إنما انتقل إلى حقل السياسة منذ ستينات القرن الماضي، وهي تُعرف على أنها فن ممارسة القيادة والحكم وعلم السلطة أو الدولة، ثم اتسع فيما ما بعد مفهومها ليأخذ جانباً معرفياً بعدد من التخصصات العلمية الأخرى، فمثلا أصبح هناك ما يعرف بالتنمية الثقافية التي تهدف إلى رفع المستوى الفكري للمجتمع، هناك أيضا ما يسمى بالتنمية الاجتماعية، ويقصد بها توحيد جهود الأفراد وكذا الهيئات الحكومية لتحسين الظروف المعيشية في المجتمعات كتوفير السكن والصحة والتعليم... إلخ، من جهتها كذلك قدمت هيئة الأمم المتحدة تعريفاً مقارباً للتعريف السابق، مفاده أن التنمية الاجتماعية لا تتضمن فقط تحسين الأحوال الاجتماعية إنما تحسين حتى الأوضاع الاقتصادية والثقافية عبر تضافر جهود المواطنين والحكومة لتحقيق تكامل في المجتمعات، وتجسيد مفهوم التقدّم القومي، موازاةً مع التنمية الاجتماعية ظهر نوع آخر يتمثل في التنمية البشرية يقوم مفهومها على أساس أن البشر هم الثروة الحقيقية للأمم وأن التنمية البشرية هي عملية توسيع خيارات البشر ، لقد برز هذا المصطلح من البرنامج الإنمائي الذي أعلنته الأمم المتحدة، مشيراً إلى أن الإنسان هو أداة وغاية التنمية، أي أنها تتجسد بالبشر لصالح البشر ، باعتبار الفرد والمكون الأساسي للمجتمع ومنظمه وقائده ومجدده.